

وقد فرحت بهذا السؤال ، لأنى وجدت شخصا يحب القراءة ويجد فى الاطلاع لذة ، وقد طال المهمل — فى الزمن السابق — عن كانوا يلتصمون اللذة فى المتع الرخيصة البتذلة . ومقياس رقى الأمم أخذ أهلها بالأدب الرفيع ، والإقبال على ارتشاف العلم ، ودوام النظر فى صفحات الكتب ، والاستماع إلى حلقات الدرس والمحاضرة ، مما لم يكن ممهودا فى المهمل السابق ، أو مألوفاً فى سياسة الملك السابق ، بل كان المهمل عهد إسفاف ، تنتشر فيه الخلاعة والتهتك ، ويقبل الناس مع ملكهم على الإثم والفجور وآية ذلك هذه الصحافة الصفراء التى كان هما أن تطلع على القراء بالسيرة الفضوحة ، وأخبار « الطبقة الراقية » فى حلقات الرقص وميادين السباق وموائد اليسر وعلى شواطئ البحار ، مع عرض صورهن فى ثياب تكشف عن الفتنة وتبتد عن الحشمة . وأصبحت عناية الصحف والمجلات نشر الصور للمثيلات وهن شبه عاريات ، وتسابقت جميعا فى هذا الضمار تنشذ اجتذاب الشباب بالفتنة ، واستهواء الشيوخ بالخلاعة ، وتوجيه المواطنين وجهة دينية ، والتلاعب بالفرايز الجنسية بتمشيتها وتثيرها من مكانها . فأصبح القارئ العفيف كأنه راهب انقطع فى الصحراء ، أو سائح ضد تيار الماء .

وكان التيار جارفاً يحمل المجتمع نحو الأغلال والفساد ، ويبتد به عن الجد والوقار . فإذا أخذ أحدنا بسبيل الجد والمثالية شمر كأنه غريب عن المجتمع الذى يعيش فيه . ولعل عزوف « التألم » عن القراءة راجع إلى شعوره بالانفصال عن الجماعة حين يقبل على التمرأة والاطلاع

قد يقول قائل : ولكن صاحب السؤال يحتاط للأمر ويقرر أنه يهوى القراءة وينتاقها ويرغب فيها ، فكيف تزعم أنه غير راغب فيها ، وأن ميله إلى النوم دليل على صدوقه عنها ؟

ونقول فى الجواب عن هذا الاعتراض إن النفس الإنسانية أمرها شديد العجب ، فهى تبدى خلاف ما تبطن ، وتصدر عنها أفعال تبين ما يشر به صاحبها . فهل تصدق الأعمال ونكذب الشاعر ، أو تصدق الشاعر ونكذب الأعمال ؟

واعلم أن اتجاه المحدثين فى علم النفس هو الأخذ « بالسلوك »

العزوف عن القراءة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

سألنى « متألم » على صفحات الرسالة ، فقال إنه مدرس أدب يتذوق القراءة ، ويهوى الاطلاع ، ولكنه أصيب منذ عام بداء يقطع عليه سبيل هذه اللذة العتلية ، وهو « النوم » حين يشرع فى مطالعة كتاب أو صحيفة

مع أحد سببلا ، وليكون ذلك أننى للثمة وأبعد من المحابة (١٨) وتسمى هذه القداح « الأغفال » : جمع غفل ، بالضم ، وأصله فى الدواب مالا سمعه له ، ومن الأرضين مالا علم فيها وهذه القداح ثلاثة فى أصح الأقوال :

١ - الوغد

٢ - السفيح

٣ - النسيج

وقد نظم أسماءها بعضهم فى قوله (١٩) :

لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيع

واسامهن وغد وسفيح ونسيج

وقيل : وهذا قول شاذ - : إن عددها أربعة (٢٠) :

١ - المصدر

٢ - المضمف

٣ - النسيج

٤ - السفيح

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارود

(١٨) قال ابن قتيبة تعليقا على هذا : « وبلنى أن المتفامرين بالترد إذا أحسوا من الرجل الماء النفس على الوجه الذى يهده بالرفق - وهو ما يسمى فى عصرنا هذا فى مصر بالفرس - أقفوا مع الفصين فصا ثالثا أو فصين ليس عليهما رقوم . أو حصيات . يأمنوا الحيلة » فلائمر ما اتخذ العرب هذه القداح مع قدامح المخط

(١٩) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٢٠) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

العلماء . ولعلك عندئذ تعلم لماذا امتنع سقراط عن التدوين ، ولماذا كان يلقي دروسه إلقاءً

الكتب - وقال الله شرها - فيها منافع وفيها مضار . فمن ساقها أنها تلخص لك أفكار العلماء الذين أفنوا أعمارهم في بلوغها في حيز ضيق ، تستطيع أن تحمله في ساعات قليلة . ومن منافعها أن العلم ينتقل إليك في دارك فتطلع على آرائه وأنت مضطجع ، بدلا من شد الرحال إليه . ومن منافعها أنها صديق نانس إليه وقت الشدة فيفرج همك ويسرى عنك ويبحث في نفسك التمتع حتى إذا سئمت ألقينه جانبا

ومن مضارها أنها كالجثة الهامدة لا حياة فيها ، لأن حياة الأفكار في حياة قائلها ، ولذلك كان الاستماع إلى حديث العالم أمتع للنفس وأرسخ في الذهن

ومن مضارها الذهاب بقوة البصر ، لأن التحديق في الحروف السوداء المكتوبة ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ، يجهد العين ويضعفها

وكل قارئ تمر به فترات من الضيق فيسأم الاطلاع في وجوه الكتب ، ويصدف عنها ، ولا علاج لذلك إلا تركها مدة من الزمن ، والترويح عن النفس بقراءة « كتاب الطبيعة » . وهذا شيء قل أن يفعله القراء في الشرق ، نعتي الخروج إلى الحدائق العامة والتأمل في مباحج الطبيعة . وكان عادة أرسطو أن يلقي دروسه في بستان وهو يجوس خلال عماشيه ، ولذلك سمي أتباعه بالشائين

فلا تنأمل أنها المائل لأنك تمام عند القراءة ، واسترح قليلا ، وخذ العلم من المجالس ومن أفواه العلماء ومن قراءة كتاب الطبيعة . أما النوم الذي تشكو منه ، فإن لم يكن لعلته جسمانية وضعف طارئ ، فهو رد فعل طبيعي لإرغام نفسك على ما لا تحب وتشهى والابتعاد عن الأشياء غير المرغوب فيها يتخذ أشكالا مختلفة ، فخصص يلقي الكتاب من يده ، وآخر يمزقه ، وثالث يبيعه . أعرف ناسا كثيرين حين ضاقوا بالقراءة بإعوا مكتباتهم التي اقتنوها على مر الزمان ، فلما ذهبت فترة السأم والللال ندموا على ما فعلوا

والأعمال الظاهرة ، وليس لهم شأن بما يجري داخل النفس من ظواهر شعورية . وهناك مدرسة كبيرة على رأسها الأمريكيان ، وبقية بعض العلماء في أوروبا ، تبحث في علم النفس بغير الشعور . ونحن إلى هذا الاتجاه أميل ، فنقدم العمل ولا نقبل الشعور ، ونصدق السلوك ونفسر به النزعات الباطنة

وعلى هذا الأساس يسهل علينا تفسير هذه الظاهرة التي يذكرها صاحبنا ، فهو يمسك بالكتاب ولا يكاد يقرأ منه بضع صفحات حتى تأخذه سنة من النوم . هذا هو الواقع المشاهد الذي لا سبيل إلى إنكاره . فما العلة في ذلك ؟

وسوف نبين العلة الصحيحة بعد أن نمتنع ما يذكره عن مشاعره الباطنة ، من أنه يتمتع بما يقرأ تمتعا زائدا . فهذا الشعور غير صادق ، بل هو تمويه من النفس . فلا يستقيم أن تكون التمتع حقيقية ثم يصرف عنها نائما ، بل العكس هو الصحيح

والنوم عند القراءة دليل لا يحظى على عدم الرغبة فيها . وقد يعبر الإنسان تعبيرا آخر يفصح عن هذا الصدوف ، كأن ينسى الموضوع الذي ترك فيه الكتاب ، أو ينسى اسمه وموضوعه ، أو يجد في عينيه تعباً ، وقد يصاب أحدهما بظهور « الذبابة الطائرة » وهي نقطة سوداء تماكس الرؤيا ، وهذا إنذار بالتعب من القراءة ، وفي بعض الأحيان يصاب الشخص بنسي تام ، فلا يصير شيئا ، لا لعله في العين ، بل لشدة الإجهاد العقلي في القراءة والرغبة اللاشعورية في الاعتماد عنها

الحق أن القراءة ليست شيئا في طبيعة البشر ، فقد ركب الله العين في الإنسان ليصير بها الأشياء الخارجية فيعرفها في المناظر من جمال هو الذي يبعث التمتع في جوانب النفس

والأصل في التغام بين الناس السمع لا البصر ، ولذلك قيل الإنسان حيوان ناطق . فالألفاظ التي يتألف منها الكلام تنتقل من الفم إلى الأذن ، ويتم عند ذلك الإدراك ويحصل العلم . حتى إذا أخذ الإنسان يتحضر عرف التدوين والكتابة ، وسجل الألفاظ المنطوقة في رموز مكتوبة رسمها رسما . واتسمت الكتابة مع الرقي ، وكثرت الكتب ، وأصبحت مرجع الناس في تحصيل العلوم ، مع أن الأصل أن يستمد المرء العلم سمعا ويتلقاه من أفواه